

عائد من الظلام

بِقلم / أحلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليبِ

مؤسسة
أوارالحق



عائد من الظلام!

-الحلقة الحادية والثلاثون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الحادية والثلاثون -

بقلم:

أحلام_النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

قناة_مؤسسة_أوار_الحق



كان "جاكيلنو" يكنس الساحة الكبيرة، ووجهه الطيب يشع بساطة، حين لمح القس "ألفرد" يتجه نحو مكتبه حاملاً بعض الكتب إضافة إلى حقيبتة الخاصة، ففكر قليلاً، ثم اقترب منه وقال بأدب جم:

- هات عنك يا سيدي القس.

استغرب "ألفرد"، وصدق فيه مفكراً، ثم ما لبث أن حوّل عينيه عنه، وابتسم بصلف، وناولوه الأغراض قائلًا:

- حسن، لا بأس يا بني.

وولاه ظهره وسار قليلاً ريثما دخل "جاكيلنو" مكتبه، عندها استدار "ألفرد" بحدة وخبث، وراح يراقبه من نافذة المكتب، واندھش عندما لم يرَ ما يريب! فقد وضع "جاكيلنو" الكتب والملفات على المكتب، والحقيبة في مكانها، دون أن يفتح أي شيء منها، ثم كنس الأرض قليلاً وهو مستمر في الدندنة بصوت خفيض، وحين خرج من المكتب قال متفاجئًا:

- أنت هنا يا سيدي؟

ارتبك "ألفرد" ثم قال:

- لقد.. لقد.. نعم؛ لقد نسيت شيئاً مهمًا.

ودلف إلى المكتب بسرعة، رامياً "جاكيلنو" بنظرة جانبية، فوجد أن الأخير لم يهتم، بل واصل كنس الساحة ببساطة ودون اكتراث، وتنفس "ألفرد" الصعداء وابتسم براحة؛ إذ يبدو أن "جاكيلنو" ساذج للغاية، وغير فضولي بالمرّة، كما أنه خدوم جدًّا، وهذا كله يناسب ثعلبًا عجوزًا مثل "ألفرد".

لكن هل كان هذا ليكفيه؟

لا؛ فحين وصلت المؤونة؛ خرج "ألبرت" إلى الساحة، وأمر العاملين الموجودين فيها باستقبال الشاحنتين،

واقترّب "جاكيلنو" منه قائلاً:

- أمرك يا سيد "ألبرت".

ابتسم "ألبرت" بغرور، وقد سرّه هذا الاحترام النادر، ثم ناوله بأطراف أصابعه ورقة، وقال:

- أعطِ هذه لأحد السائقين؛ إنها طلبات جديدة مستعجلة.

- أمرك.

واتجه "جاكيلنو" إلى البوابة، فوجد "مدريدو" هناك، الذي همس له بصوت خفيض:

- جاءت الأوامر بأن ترسم خريطة مفصلة ودقيقة للمعسكر، ولا تغفل أي زاوية فيه.

همس "جاكيلنو":

- حسنًا.

ومدّ يده ليناوله ورقة الطلبات؛ حين هتف "ألفرد" من ورائه:

- "جاكيلنو"! أعطني هذه الورقة!

تجمد في مكانه؛ إذ لم يخطر له أن "ألفرد" يراقبه هكذا بالرغم من كل تصرفاته الباعثة على الاطمئنان،

بيد أنه استعاد رباطة جأشه سريعًا، ورسم على وجهه ابتسامته البريئة المعتادة، وناول الورقة قائلاً:

- تفضل يا سيدي؛ لقد طلب مني رئيس الطلاب إعطاءها لأحد السائقين.

تفحص "ألفرد" الورقة؛ كانت ورقة طلبات بريئة فعلاً، ابتسم وقال:

- هكذا؟ حسن لا بأس.

وأعاد الورقة إليه بأطراف أصابعه، فتناولها "جاكيلنو" وأعطاهما لـ "مدريدو" الذي رماه بنظرة قلقة،

فهمس "جاكيلنو":

- لا تقلق؛ سأجد طريقة إن شاء الله تعالى.

(٧٨)

ضرب "ألفرد" المكتب بقبضته، وقال بحدة:

- لا تجعل أحداً يشاركك في أعمالك يا "ألبرت"!

قال "ألبرت" بتعب، ووجهه الذابل يَشِي بإرهاقه:

- سيدي! إنها مجرد ورقة، و"جاكيلنو" طيب لا يتدخل بشيء، وأعمالي لا تنتهي؛ إنني أركض طول

الوقت بين مكاتبكم والممرات والطلاب!

حملق "ألفرد" فيه وقال وقد أسند وجهه إلى قبضة يده:

- ما دمت تشكو؛ فلا بأس في اختيار غيرك لموقعك!

هتف "ألبرت" على الفور:

- أنا لا أشكو، لكنها مجرد ورقة!

همس "ألفرد" بلهجة حاسمة مخيفة:

- لا تستهن بشيء! هل هذا واضح؟

أجاب "ألبرت" ببرود لينهي الحوار:

- حسن لن يتكرر هذا يا سيدي.

استرخى "ألفرد"، وقال بنعومة:

- أعرف مدى إرهابك يا بني!

توتر "ألبرت"، وشغل حواسه للحذر؛ فإن كان "ألفرد" لا يثق بأحد: فإن أول شخص لا يثق فيه "ألبرت" هو "ألفرد" نفسه.

تابع "ألفرد":

- أعدك أن نزهة هذا الأسبوع ستخفف عنك.

تمتم "ألبرت" بارتباك:

- شك.. شكراً يا سيدي.

ثم غادر المكتب، وهو مصمم على أخذ المزيد من الحذر تجاه هذا القس المجنون.

(٧٩)

بينما كان الأمير والملثم جالسين في كهف قريب من مكان المجاهدين؛ إذ طرق عليهما "عروة" الباب
طرقات معينة؛ فتأهب الملثم مخرجاً سلاحه، بينما قال الأمير بلهجة مطمئنة:
- لا تقلق يا أخي؛ إنه أخونا "عروة".

ودخل "عروة" بعد أن أذن له، وسلّم عليهما، ثم قال بانزعاج:
- لقد وصلت تقارير إخواننا هناك كما أوصى أخونا الملثم، ولم أستطع الانتظار حتى أخبركم.

ورفع نظره إليهما، وأجاب على نظراتهما المتسائلة قائلاً:
- الضابط الخزير "إدوارد" مزدوج المهمة فعلاً كما توقع أخونا الملثم؛ إنه لم يأت من أجل الامتحان
الكبير وحسب، لقد جاء كذلك.. من أجلنا نحن! بالأخص من أجلك أنت أخي الأمير!

تبادل الأمير والملثم النظرات، ثم قال الأمير مسترخياً وبلهجة ذات معنى:
- ما دام الأمر كذلك؛ فلا بد من استقباله كما ينبغي!

هز الملثم رأسه، بينما أخذ عقله يعمل بترتيب ونظام؛ لا بد من زيادة مراقبة تحركات "إدوارد" هذا،
ومعرفة الأماكن التي يتردد عليها.

ووئب قائلًا:

- سأرتب للاتصال بأخينا "مسعود"؛ إذ يبدو أن زيارة هذا الضابط لن تمر على خير، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار تنافسهم جميعًا في إثبات جدارتهم أمام قيادات أوروبا؛ فأتوقع أن أماننا وقف جرائم كثيرة يريدون تنفيذها!

قال الأمير:

- أوافقك أخي المثلث، افعل ما يلزم، وسأكون بانتظارك إن شاء الله تعالى.

هز المثلث رأسه، ثم اختفى بسرعة خارج الكهف.

(٨٠)

أخذ المجاهد "مصعب" في ترتيب المكان وتنظيفه؛ إذ كان هذا اليوم هو دوره في ذلك، ولكنه رفع نظرة متسائلة حين اندهش من اقتراب "محمد" منه، وحك "محمد" رأسه بارتباك، فقال "مصعب" مبتسمًا:

- أهلاً بك يا أخي.

ابتسم "محمد" بدوره، وقال متلعثمًا:

- آ.. أنا.. فقط.. أريد مساعدتك.

وامتدت يده بسرعة للعمل كي يخفي ارتبائه، ابتسم "مصعب" مجددًا، وقال:

- جزاك الله خيرًا.

همس "محمد" دون أن يلتفت:

- وإياك.

وحين انتهى العمل؛ بدا "محمد" كمن يبحث عن حجة للحديث؛ فساعده "مصعب" قائلاً برفق:

- هل أنت بخير يا أخي؟

هتف "محمد" سريعًا:

- نعم نعم؛ بخير والحمد لله تعالى.

وأضاف مترددًا:

- ولكنني.. اممم.. في الواقع.. ما أزال خجلًا منك منذ ذلك اليوم.

ضحك "مصعب" بلطف؛ كان "محمد" يقصد انفجاره في وجه "مصعب"، واستنكاره لوجوده بين

المجاهدين بينما هو يشبه "ألفرد".

وقال "مصعب":

- لا تثريب ولا بأس عليك يا أخي.

سأله "محمد" ببراءة:

- لستَ غاضبًا حقًّا؟!

- لا، وأتفهّم جيدًا دافعك لهذا.

واقترَب منه، وتابع وهو يربّت على كتفه بإخاء:

- لقد مضى الأمر؛ فلا تفكر فيه.

ابتسم "محمد" بخجل، ثم سأله محاولاً تغيير الحديث:

- أخبرني يا أخي؛ لماذا سميت نفسك باسم "مصعب" بالذات؟

ابتسم المجاهد البريطاني، وقال:

- إنه اسم الصحابي الجليل "مصعب بن عمير" رضي الله تعالى عنه.

واسترسل متابعًا:

- في غزوة بدر؛ وقع أخوه الشقيق "أبو عزيز" أسيرًا في قبضة المسلمين، ومرّ به الصحابي "مصعب"؛

فلما رآه قال لآسره: (شُدَّ يدُك به؛ فإن أمّه ذات متاع؛ لعلها تفديه منك!).

ونظر "مصعب" إلى "محمد"، وتابع ضاحكًا:

- طبعًا كان الكلام صادمًا لشقيقه، الذي قال له: (يا أخي؛ هذه وصاتك بي؟! فقال له الصحابي "مصعب": إنه أخي دونك)؛ يقصد أن الصحابي الأنصاري هو أخوه، وليس شقيقه الكافر^١.

وتنهّد "مصعب" ثم قال حالما:

- من المهم جدًّا أن نتحلّى بالولاء للمسلمين والبراء من الكافرين، لن تصدق كم أتوق لقتل "ألفرد" يا "محمد"! إذ أشعر أنني بقتلي لكافر من بلدي سأكون مقتديًا بهذا الصحابي الجليل، الذي تأثرتُ بقصته، وبمدى ولائه وبرائه!

ابتسم "محمد" وقال بحماس:

- أسأل الله العظيم أن يمكّنك من تحقيق ذلك.

- آمين.

استدار "محمد" ناظرًا إلى الأفق، وهمس بعينين غارقتين في الماضي بعزم وتصميم:

- وأن يمكّنني من ثأري الكبير!

ابتسم "مصعب" وقال:

- آمين يا أخي.

التفت "محمد" إليه وقال:

- هل تظن أن يومًا كهذا من الممكن أن يأتي؟

^١ سيرة ابن هشام.

أجاب "مصعب" بتفاؤل:

- لا شيء عسير ولا بعيد على الله عز وجل.

همس "محمد" بخشوع:

- سبحانه وتعالى، صدقت يا أخي.

(٨١)

بقي "جاكيلنو" يتحرى الوقت المناسب لأداء المهمة، حتى عرف أن القساوسة سيغادرون المعسكر ليلاً ومعهم "ألبرت"، ووجد لها فرصة جيدة ليؤدي المطلوب منه دون أن يكون محاصراً برقابة أحد منهم.

على الجانب الآخر؛ لم يكن "ألبرت" مرتاحاً في ذلك المكان، برغم حث "ألفرد" له على الترويح عن نفسه في تلك الحانة الغريبة، كان يشعر أن في الأمر مكيدة ما؛ فلطالما صدمته مواقف القساوسة وخبثهم، ومع هذا فقد شرب الخمر وهم يراهم جميعاً يشربونها باستمتاع، ووجد صعوبة بالغة في تمييزهم كقساوسة عن بقية الطائشين في الحانة، والذين بدوا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، لم يكن هذا وحسب بسبب رؤيته لهم بملابس مختلفة عن زيهم المعتاد في المعسكر، بل أيضاً بسبب تصرفاتهم وسلوكهم الغريب وهم يتطوَّحون من السكر وسط الموسيقى الصاخبة.

ورشف "ألبرت" المزيد من كأسه، وهو يختلس النظرات إلى القس "ألفرد" الذي كان يرمقه بنظرات جانبية من آن لآخر، وراح يفكر.. هل هي مجرد نزهة بريئة فعلاً؟ أم أن في الأمر سرّاً لم ينجل بعد؟ لكنه

كان أكيداً من أنها حتى ولو كانت مجرد نزهة لتقريبه من القساوسة وتوثيق علاقته بهم كما يزعم "الفرد"؛
فيبدو أن لهذا القس المجنون مفهوماً غريباً عن المرح!

وتنهّد أخيراً، وقد رأى أنه لا حاجة به إلى كل هذا القلق؛ إذ كان واثقاً أنه لم يرتكب أي خطأ، بل هو
عازم على توثيقي أقصى ما يمكنه من الانتباه والحذر.

يتبع

